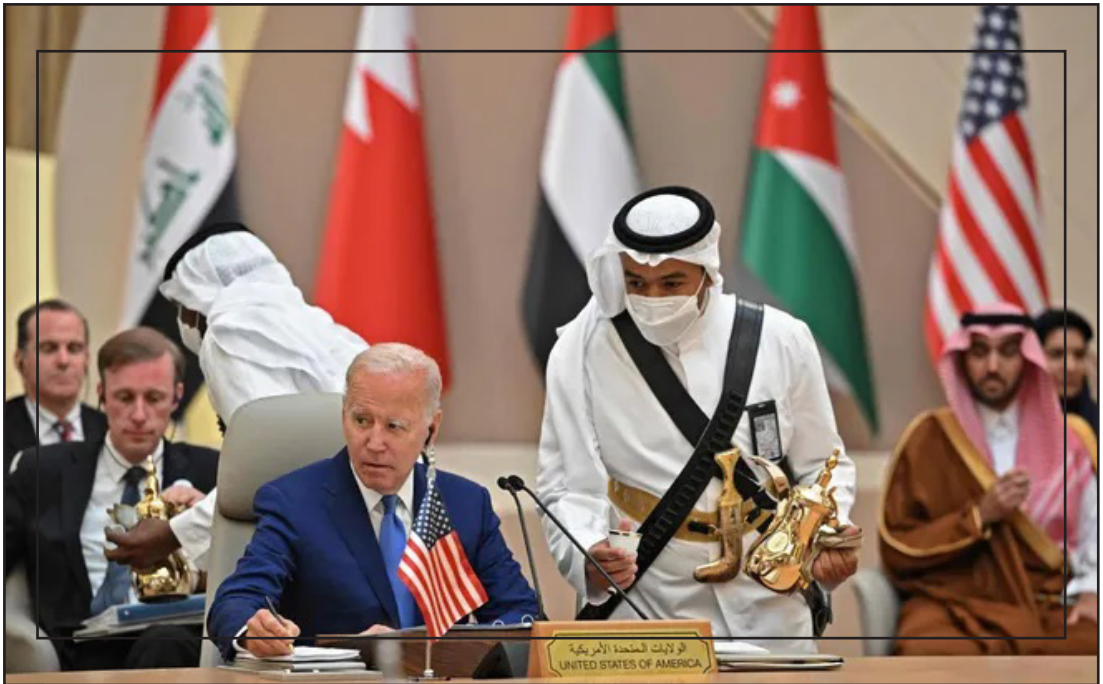




مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الشرق الأوسط ما بعد زيارة بايدن.. ما الذي تحقق؟

خالد هاشم



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاص، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدة تمُّ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

الشرق الأوسط ما بعد زيارة بايدن.. ما الذي تحقق؟

خالد هاشم *

ساهمت -في السنوات السابقة- عوامل عديدة في تراجع أهمية الشرق الأوسط الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية منها حالة الفوضى التي كرسستها موجة «الربيع العربي» والتي نتج عنها حالة فراغ سارعت قوى إقليمية على استغلالها، ومنها تراجع أهمية النفط بعد حالة الاكتفاء الذاتي الذي وصلت إليه الولايات المتحدة، فضلاً عن توجُّه الولايات المتحدة نحو منطقة جنوب شرق آسيا حيث المنافع والمنافسة الاقتصادية هناك مع التين الصيني.

اليوم يشهد إقليم الشرق الأوسط اتجاهًا مغايرًا لهذه التحولات، عنوانه الرئيس اضطراب الولايات المتحدة على مراجعة حساباتها وطبيعة علاقاتها والتزاماتها تجاه منطقة الشرق الأوسط مرة أخرى تحت ضغط عوامل جديدة، أبرزها عودة النفط كسلعة لها تأثيرها العالمي، وخصوصاً بعد الحرب الروسية الأوكرانية، ومن ثمَّ الأهمية النسبية للدول العربية المصدِّرة للنفط والطاقة. كما ساهمت عوامل أخرى في توفير البيئة الإيجابية لعودة الاهتمام الأمريكي بالمنطقة، منها: امتلاك دول الشرق الأوسط زمام المبادرة والحضور مرة أخرى، وانتهاء الأزمة الخليجية وحالة المصالحة والرضا التي يشهدها الإقليم اليوم والتي انعكست في عرض مبادرة خليجية بشأن الأزمة اليمنية، وبدء مباحثات ما بين السعودية وإيران وبوساطة عراقية دفعت رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي إلى اغتنام الفرصة؛ لبناء علاقات متوازنة مع الإقليم، وعودة الاعتبار لروابط العروبة والتاريخ⁽¹⁾.

ساهمت هذه التحوُّلات في خلق فرص جديدة لتوازنات في الإقليم، وعودة الاعتبار لمنطقة الشرق الأوسط مرة أخرى، وتأسيس مرحلة جديدة من العلاقة مع القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

١. محمد إبراهيم وآخرون، كيف يفكر الشرق الأوسط في جولة بايدن، تقديرات إستراتيجية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، تموز، 2022، ص 6-7.

* باحث في مجال العلاقات الدولية.

نقطة التحوُّل في العلاقة مع الإقليم

في السابق، كانت صورة العلاقة التي تحكم دول منطقة الشرق الأوسط بالولايات المتحدة، قائمة على أساس التزام أمريكي واضح وصريح بأمن دول الإقليم وسلامتها، وخصوصاً الدول الخليجية المصدِّرة للنفط، من دون تحميلها أعباء دفاعية، أو أمنية كبيرة، لكن صورة العلاقة في السنوات الأخيرة مع الحليف الأمريكي تحوُّل إلى حليف غير مكترث بطبيعة تلك العلاقة ولا باحتياجات تلك الدول الأمنية، بل تدهورت تلك العلاقة خصوصاً بعد تعرُّض تلك الدول إلى النقد الحاد على أوضاعها الداخلية، وهددت دولة مثل المملكة العربية السعودية بجعلها «دولة منبوذة»، وعدم تقديم الدعم لها إزاء الهجمات التي تتعرَّض لها بالصواريخ والطائرات من دون طيار، بل وصل الأمر إلى سحب بطاريات صواريخ الباتريوت الأمريكية من أراضيها.

وهكذا يمكن القول، أصبحت صورة العلاقة التي تحكم الطرفين في السنوات الأخيرة غير مفهومة، ولم تعد المصالح بينهما متوائمة أو متقاربة، وراح كل طرف يتعامل مع الطرف الآخر بصورة مختلفة، لا بل دفع ذلك بعض دول الإقليم كدول الخليج العربي إلى التفكير في تطوير فكرة «دورها» من فكرة بناء الكيان الداخلي وترسيخها إلى فكرة النهوض بدور إقليمي لا بل حتى دولي، والذي أخذ أحياناً منحى متمايز عن الدور الأمريكي والذي انعكس بدوره على خريطة التفاعلات مع الأزمات في المنطقة⁽²⁾.

ووصل الأمر إلى حالة من العدائية طبعت خطاب السياسة الخارجية الأمريكية إزاء بعض دول الإقليم، وهي عدائية الخطاب الأيدلوجية والسياسي وليس عدائية الأفعال فقط. فعلى سبيل المثال مثَّلت الخصوصية لدول الخليج العربي الأساس الذي بنيت عليه علاقتها مع كل من الأصدقاء والحلفاء وكانت الولايات المتحدة على مدى تاريخ العلاقة مع دول الخليج الأكثر فهماً لتلك الخصوصية الخليجية وطبيعتها أنظمتها، ولذا لم يكن مرحباً به ما شهدته السنوات الأخيرة من خطاب أمريكي تعمَّد عدم احترام أسس العلاقات وخصوصية الأنظمة الخليجية. فلم يكن الرئيس باراك أوباما جاداً في تعامله مع قضايا المنطقة، وعمل دونالد ترامب على استخدام لغة خطاب فظٍّ وغير دبلوماسي مع تلك الدول، وفضَّل علاقة شخصية على علاقة بروتوكولية، وعلى النقيض من ترامب، فضَّل جو بايدن التعامل مع دول تلك المنطقة بعقلية رئيسه الأسبق أوباما، مفضلاً العودة

2. معتز سلامة، الرؤية الخليجية: الأبعاد غير المطروقة في زيارة بايدن للسعودية، ملفات، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2022، ص 13.

للاتفاق النووي مع إيران على حساب رغبات الدول الخليجية، ولم يبد أي نية لعودة العلاقات الأمنية والدفاعية مع دول الخليج، مفضلاً الابتعاد عن منطقة الشرق الأوسط، والتوجُّه نحو الصين وآسيا، ولم يلتفت إلى طلبات حلفاء أمريكا في المنطقة بل توعدَّ وأنذر بعض زعماء تلك الدول قبل أن يتولى الرئاسة وعلى رأسهم ولي العهد السعودي محمد بن سلمان⁽³⁾.

نظرة دول الشرق الأوسط لإدارة جو بايدن

تنظر دول منطقة الشرق الأوسط عموماً ودول الخليج خصوصاً إلى بايدن بأنه رئيس من زمن الحرب الباردة، وصاحب توجُّه بعيد عن واقع المنطقة الحالي الذي نَمى وتطوَّر بفعل عوامل عديدة، ووفقاً لظروف المنطقة وطبيعتها، والتفكير المستقل في عقد الصفقات مع دول العالم الأخرى، إذ لم تعد المنطقة شديدة الانبهار بالنموذج الأمريكي، وهذا راجع إلى تراجع مكانة الولايات المتحدة عالمياً. فرضت هذه النظرة الجديدة لدول المنطقة عليها التحركُ وفق المصالح التي يجري تقديرها طبقاً لحاجة تلك الدول للأمن والتطور التكنولوجي.

ومن ثمَّ، ووفقاً لهذه الرؤية الجديدة البعيدة عن النظرة الأحادية للعلاقة مع الولايات المتحدة، ذهب دول المنطقة إلى بناء علاقاتها مع الصين وروسيا عبر اتفاقيات إستراتيجية بعيدة المدى عبر خطوات تبدأ من إدخال التعليم باللغة الصينية في المدارس الداخلية إلى عقد صفقات لشراء أسلحة بمليارات الدولارات، مع الاستمرار بالتمسُّك بإصلاح العلاقة مع الولايات المتحدة وعودتها إلى سابق عهدها، فالمرآنة على الورقة الأمريكية ما زال قائماً لدول المنطقة طالما لم تنهي الولايات المتحدة علاقتها بدول تلك المنطقة تماماً⁽⁴⁾.

وهنا نلاحظ -أيضاً- حصول تغيير في نظرة دول المنطقة للولايات المتحدة بالمستوى نفسه ترافق معه تعيُّر نظرة الولايات المتحدة لدول المنطقة، وهذا جرى بصورة متوازية مع ظهور أنظمة شبابية جديدة تنظر للولايات المتحدة بمنظار المصالح المتبادلة بعيداً عن النظرة القديمة التي تحكم

3. Tyler Pager and Yasmeen Abutaleb, Biden heads to Saudi Arabia amid discomfort and criticism:

Biden promised during his campaign to make the kingdom a 'pariah.' He has now agreed to visit, but the sensitivities are evident and the results uncertain, The washingtonpost, July 12, 2022, At: www.washingtonpost.com

4. معتز سلامة، مصدر سابق، ص14.

صورة العلاقة بين الطرفين والقائمة على أنّها أنظمة محسوبة ابتداءً على الولايات المتحدة والغرب. فعلى سبيل المثال فقد تعاضمت مكانة دول المنطقة المصدرة للنفط والغاز وأصبحت مركز ثقل، وعماملاً لتغيير التوازن العالمي ليس فقط بسبب النفط والغاز، ولكن بسبب المكانة الدبلوماسية والسياسية والتأثير العالمي. لا شك أنّ دول الشرق الأوسط النفطية لن تذهب باتجاه إنهاء علاقتها مع الولايات المتحدة، بل ستحافظ على مستوى متطورٍ من تلك العلاقة، ليس فقط لحجم الاستثمارات الأمريكية في تلك الدول، بل لأنّ ساحة القرار في واشنطن ستظل مفتوحة للعمل أمام الدول النفطية العربية صاحب التأثير والقرار عبر اللوبيات التي أقامتها هناك. وهو ما يعني الحفاظ على مستوى معين من العلاقة حتى وإن حاولت تلك الدول الانتقال إلى قطب دولي جديد كالصين⁽⁵⁾.

المبادئ التي تحكم صورة العلاقة الجديدة مع الولايات المتحدة

لم تعد دول الإقليم اليوم مطمئنةً للخطاب الأمريكي الذي ساد على مدى عقود تجاه دولها، فلم يعد مقبولاً التدخّل في شؤونها الداخلية، وعدم احترام قيم تلك الدول وخصوصياتها، والابتزاز في لغة الخطاب الدبلوماسي، والتهديد بقوانين مثل «جاستا» وغيره، والتهديد بورقة حقوق الإنسان، لم يعد كل ذلك اليوم مقبولاً كأسلوب أو طريقة تحكم صورة العلاقة بين الجانب الأمريكي ودول تلك المنطقة.

ومن ثمّ، يمكن القول إنّ صورة العلاقة اليوم التي تريدها دول المنطقة مع الشريك الأمريكي والتي أوصلتها عن طريق مؤتمر جدة الأخير في السعودية للجانب الأمريكي تقوم على ما يلي:

علاقة لا يحكمها التلويح بورقة حقوق الإنسان والقيم الديمقراطية: أُسسّت العلاقات في السابق ما بين دول المنطقة، وخصوصاً دول الخليج والولايات المتحدة على احترام خصوصية تلك الدول، ولم يكن فرض القيم الأمريكية هو الأساس الذي يحكم تلك العلاقة ما بين الطرفين. ولم يكن هناك فرض لوجهات النظر الليبرالية والديمقراطية الأمريكية على المستوى الرسمي على تلك الدول وبما يهدد مستقبل العلاقات بينهما.

لكن بدأنا نشهد في السنوات الأخيرة محاولة فرض من قبل المؤسسة الرئاسية الأمريكية لتلك

5. محمد البناء، الواقع يفرض على أمريكا اللجوء للتعاون مع الشركاء لتلاقي المصالح، مجلة آراء حول الخليج، العدد 176، تموز 2022، متاح: <https://araa.sa>.

القيم والحقوق الديمقراطية، جعل مؤسسة الرئاسة الأمريكية بمنزلة منصة للمنظمات الحقوقية المطالبة بتلك الحقوق والمدافعة عنها، بعيداً عن تركيزها على علاقاتها الأمنية والدفاعية لدول المنطقة التي أجبرت على الدفاع عن نفسها وفقاً لإمكاناتها الخاصة⁽⁶⁾.

_ علاقة تحكمها المصالح في الأساس: في السابق حكم مبدأ (استقرار سوق النفط العالمي مقابل الأمن والاستقرار لدول الخليج العربي) العلاقة ما بين الطرفين العربي والأمريكي من دون حساب تكاليف وأثمان العلاقات لكل طرف. لكن في السنوات الأخيرة سعى الطرف الأمريكي إلى كشف حسابات المصالح العائدة من تلك العلاقة، كان الطرف الأمريكي سابقاً مؤمناً بمعادلة المصالح مع الدول النفطية في الإقليم، لكن في السنوات الأخيرة أصبح الجانب الأمريكي يرى أنه لا يحصل على الثمن المطلوب من تلك العلاقات وهو ما صرّح به الرئيس الأمريكي السابق ترامب حين ذكر بأنه يريد الثمن المادي جزاء تلك الحماية الأمريكية لتلك الدول النفطية، في حين ذهبت قيادة الحزب الديمقراطي لكل من الرئيسين أوباما وبايدن، إلى القول إنّ هناك مناطق حيوية هي أكثر اهتماماً من منطقة الشرق الأوسط وهي منطقة جنوب شرق آسيا والمحيط الهندي حيث المنافع الاقتصادية والخطر الصيني هناك. ووفق هذا المبدأ الجديد من الحزبين الجمهوري والديمقراطي الذي سعى إلى كشف حساب المصالح مع الحلفاء والأصدقاء والذي انتهى إلى اضطراب العلاقة ما بين الطرفين، سعت دول المنطقة إلى تأكيد أنه وفقاً لكشف المصالح هذا، فإنه بإمكانها أن تقدّم للولايات المتحدة كثيراً بما قد يفوق أو يوازن ما تقدّمه الولايات المتحدة لها⁽⁷⁾.

_ علاقة يحكمها الوزن الجديد لدول المنطقة: لم تعد دول المنطقة ترضى بأن ينظر إليها على أنّها الحلقة الأضعف، أو الطرف الأصغر الذي يتلقّى الأمن والحماية من قبل الطرف الثاني الأقوى، بل سعت دول المنطقة إلى تصحيح تلك المعادلة السابقة وعدّها الطرف المنافس والمساوي للطرف الآخر، وهو الولايات المتحدة الأمريكية، وبوصفها صاحبة المبادرة الدبلوماسية النشطة والفاعلة والمقبولة على صعيد كثير من المبادرات الدولية، ليس هذا فحسب، وإنما على صعيد

6. Rafiah Al TaleI, The Dilemma of U.S. Democracy and Human Rights Promotion in the Middle East, Carnegie Endowment for International Peace, May 27, 2021, At: <https://carnegieendowment.org>.

7. Gerald M. Feierstein, Bilal Y. Saab, Karen E. Young, US-Gulf Relations at the Crossroads: Time for a Recalibration, The Middle East Institute, April 5, 2022, At: <https://www.mei.edu/arabic-content>.

الداخل الأمريكي عن طريق التأثير على اللوبيات داخل الولايات المتحدة، وخصوصاً على صعيد سياسات الرئيس الأمريكي، أو إدارته، أو عن طريق الاستعداد لسيناريو دعم المنافس الداخلي في الحزب الآخر المترقب للجولة الرئاسية القادمة، وهذا هو ما يحكم اليوم علاقة بعض الدول الخليجية بإدارة الرئيس بايدن ومنافسه القادم المحتمل ترامب⁽⁸⁾.

ما يمكن قوله، لا يمكن أن تحقّق زيارة بايدن للمنطقة كل ما تسعى إليه دول المنطقة، فقد يتحقّق بعض أو جزء ممّا ذكرناه، إذ إنّ الأضرار التي لحقت وتراكمت من تلك العلاقة ما بين الطرفين في السنوات الماضية قد تحتاج لسنوات عديدة لإصلاحها.

ـ علاقة قائمة على كسر النمطية السائدة: ساد نمط من العلاقة أشبه ما يكون بالوصاية من قبل الولايات المتحدة على دول الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة، عبر توجيه الانتقادات العلنية لبعض قيادات المنطقة، وتبني لغة غير مسبوقة في تاريخ العلاقة ما بين الطرفين، ومن ثمّ تسعى دول المنطقة إلى كسر هذه النمطية السائدة وعدم جعلها قاعدة تُبنى على أساسها العلاقات ما بين الطرفين، بما يبقى لهذه الدول قدر من الخصوصية مقابل الخدمات والمصالح التي تجنيها الولايات المتحدة من علاقاتها مع دول المنطقة.

ماذا تريد إدارة بايدن من دول المنطقة؟

ورثت إدارة جو بايدن ميراثاً ثقيلاً من التحديات التي ورثت بعضها من الإدارات السابقة، وبعضها الآخر نتيجة التطورات الراهنة التي حصلت في عهد هذه الإدارة.

ومن ثمّ، تحاول إدارة بايدن ترتيب أولوياتها وإعادة صياغة أهدافها بما يتناسب مع الوضع القائم، وأهم تلك الأولويات التي تحاول إعادة ترتيبها⁽⁹⁾:

ـ إنهاء الجدل القائم ومنذ إدارة باراك أوباما حتى الآن، حول مدى أهمية منطقة الشرق الأوسط للولايات المتحدة، تراوح هذا الجدل ما بين ثلاثة مسارات، **الأول** هو الانسحاب بالكامل من منطقة الشرق الأوسط التي لم تعد تجدي نفعاً للولايات المتحدة، **والثاني** هو تقليل الاهتمام

8. يوسف الديني، ما بعد زيارة بايدن: شرق أوسط متجدد، الشرق الأوسط اللندنية، 26 يوليو 2022، متاح:

<https://aawsat.com>

9. سعيد عكاشة، زيارة بايدن: هل تكون محاولة مختلفة لتأسيس الشرق الأوسط الكبير؟ ملفات، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، تموز، 2022، ص 23.

الأمريكي أو تراجعها بالمنطقة وحصره في مهام محددة جداً، والثالث هو الاستمرار والإبقاء على السياسات المتبعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي ترى في الشرق الأوسط منطقة محورية مهمة يجب الحفاظ عليها ضمن أولويات أمريكا العالمية.

— المسار الذي ستحاول أن تنتهجه الولايات المتحدة فيما يتعلّق بعلاقتها بالصين وكيفية مواجهتها بعد أن باتت الصين التهديد العالمي الأول للولايات المتحدة.

— الإستراتيجية التي يجب اتباعها فيما يتعلّق بمواجهة روسيا ومحاولة ثنيها عن مواصلة سياساتها المستفزة للولايات المتحدة الأمريكية والتي بدأتها باحتلال شبه جزيرة القرم عام 2014، وانتهاءً بحربها مع أوكرانيا وتهديدها المستمر لحلف الناتو والدول الأوربية ومحاولة كسر الهيمنة الأمريكية العالمية عبر حشد عديدٍ من الحلفاء لصفها في حربها مع أوكرانيا.

— مواجهة المشاكل الداخلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها الولايات المتحدة في الفترة الأخيرة والتي باتت تهدد مكانة أمريكا العالمية.

من هنا جاءت زيارة بايدن لدول المنطقة ولقائه بقيادة دولها لمحاولة تحقيق أهداف الولايات المتحدة على الأقل لإعادة ترميم العلاقة مع دولها بعد أن أصابها الفتور في السنوات الأخيرة، ويمكن القول إنَّ مدخل عودة الاهتمام الأمريكي بدول منطقة الشرق الأوسط يُعدُّ هو المدخل الرئيس والأسهل لحل مشاكل الولايات المتحدة الثلاث الأخرى التي ذكرناها.

الشرق الأوسط بشروط أمريكية جديدة

تحاول إدارة بايدن جاهدةً إعادة إنتاج فكرة الشرق الأوسط الجديد التي أطلقها الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش في وقتها والتي قامت على ثلاثة أسس رئيسية: الأولى محاولة مواجهة التهديد الإرهابي العالمي والذي تخرط به جماعات سنية متطرفة من جهة، وإيران من جهة أخرى، والذي يهدد المصالح الأمريكية في العالم والشرق الأوسط، الأساس الثاني هو تحويل الشرق الأوسط إلى واحة للديمقراطية وحقوق الإنسان وهذا التحول سيتخلله مدّة زمنية تسودها الفوضى والاضطراب قبل أن يتحول للديمقراطية، وستحول هذه المدّة الانتقالية دون تمدد الصين وروسيا وإيران في المنطقة للتكلفة الباهظة التي سيتعين على تلك الدول دفعها لتأمين وجود مستقر ومصالح لها في المنطقة على حساب المصالح الأمريكية، الأساس الثالث لكي تحافظ الولايات المتحدة على

مصالحها ومكانتها العالمية، تحتاج إلى مواجهة الصين وصعورها عالمياً، فضلاً عن مواجهة احتمال عودة روسيا وفرض هيمنتها عالمياً كما كان في السابق.

وفي الواقع، فقد استمرت إدارة باراك أوباما على هذا النهج، ولكن بلغة خطاب أخرى وبالمتوى الاستراتيجي نفسه لإدارة بوش. ثم جاءت إدارة دونالد ترامب لتعيد ترتيب الأولويات، ولكن بركائز ومهام جديدة إزاء الشرق الأوسط قائمة على أساس التخلي عن نشر الديمقراطية عبر سياسة الفوضى الخالقة عبر حشد الشرق الأوسط وفي القلب منه الدول العربية لتكون جزءاً من محور مواجهة تطلعات الصين وروسيا وإيران، ولتحقيق ذلك أوقف ترامب استخدام قضايا حقوق الإنسان في الضغط على دول المنطقة، وللسبب نفسه عمد ترامب إلى محاولة معالجة القضية الفلسطينية بإطلاق مشروعه المعروف باسم «صفقة القرن».

وبوصل الإدارة الديمقراطية الجديدة بزعماء جو بايدن، يعود التفكير مرة أخرى في أفضل الخيارات وأنسبها لمواجهة الصعود الصيني والتحدي الروسي والتمدد الإيراني، وبوصول بايدن سيكون عليه مواجهة المنافسة الصينية التي وصلت إلى مراحل أكثر خطورة ومواجهة العدائية الروسية التي فاقت كل توقع بغزوها أوكرانيا وتهديدها لحلف الناتو، فضلاً عن استمرار إيران في سعيها الحثيث لحيازة سلاح نووي، مع المفاوضات المستمرة معها للعودة للاتفاق النووي⁽¹⁰⁾.

ومن ثمَّ سيكون أمام إدارة جو بايدن في ظل هذه المعطيات الجديدة تحديات خطيرة، ولن يكون أمامه سوى تقوية تحالفاته وفي القلب منها حشد دول الشرق الأوسط ضمن إستراتيجية جديدة يكون في القلب منها الدول العربية وإسرائيل؛ لتحقيق الأهداف الآتية⁽¹¹⁾:

— إذا تمكن بادين من كسب ود دول الشرق الأوسط وقبلها الدول الخليجية، سيمكِّنه من تعزيز قوة أمريكا في تشديد الحصار على روسيا، وتعطيل الطموحات الصينية وعرقلتها، وردع ومواجهة السياسة الإيرانية المثيرة للاضطرابات في المنطقة والعالم. ويتطلب هذا أن تتراجع دول الشرق الأوسط عن سياساتها التي اتبعتها في الآونة الأخيرة، والتي تشكل تحدياً للأهداف الأمريكية، مثل رفع مستوى التعاون الأمني والعسكري مع روسيا، والاهتمام بمشروع الحزام والطريق الذي تعوّل

10. Leonardo Jacopo Maria Mazzucco , Kristian Alexander, Growing Pains: The Promise and Reality of Biden's Middle East Policy, The Washington Institute for Near East, Jan 24, 2022, At: <https://www.washingtoninstitute.org>.

11. سعيد عكاشة، المصدر نفسه، ص24.

عليه الصين كثيراً؛ لضرب النفوذ والمصالح الأمريكية في عديد مناطق العالم، ومنطقة الشرق الأوسط في القلب منها.

— لكي تستطيع إدارة بايدن معالجة مشاكلها الداخلية وخاصة الأزمة الاقتصادية التي تشهدها حالياً بسبب تداعيات جائحة كورونا، وبسبب الارتفاع غير المسبوق في أسعار الطاقة عالمياً، ومعدلات التضخم التي رافقتها والتي قد تدفع الاقتصاد الأمريكي والعالمي لحالة من الركود العالمي لسنوات طويلة، كل هذا يتطلب أن تتحرك الدول النفطية في الشرق الأوسط لمعالجة هذا الوضع بوصف أن دورها هنا محورياً بحكم امتلاكها وتحكمها بالسوق العالمي للطاقة، فيمكن أن تزيد من إنتاجها لدفع أسعار النفط للانخفاض، والتأثير على فرص روسيا في زيادة دخولها من الصادرات النفطية والغازية⁽¹²⁾.

ويتطلب من إدارة بايدن لتحقيق هذين الهدفين التعهد أمام دول المنطقة بالجدية في التصدي لإيران وطموحاتها في المنطقة، وذلك باستخدام النفوذ والقوة الأمريكية، بدلاً من سياسة تقديم التنازلات التي قامت عليها سياسة أوباما تجاه إيران دون الاكتراث بمخاوف دول المنطقة، وبدلاً أيضاً من سياسة ترامب القائمة على أن تدفع الدول العربية تكاليف حمايتها مقابل حمايتها من إيران عبر سياسة الابتزاز مالياً وسياسياً⁽¹³⁾.

من جانب آخر، يتطلب من إدارة بايدن الضغط على إسرائيل للتوصل إلى حلٍ نهائي للقضية الفلسطينية وفق مبدأ حل الدولتين يلي الحد الأدنى من تطلعات الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة بحدود محددة، إذ إن حل القضية الفلسطينية سيجرد القوى المتطرفة من معظم قوتها، ويقلل من فرص القدرة على التحريض ضد الأنظمة العربية القائمة.

ويبقى التساؤل المعروض، هل ستمكّن إدارة بايدن من تحقيق إستراتيجيته الجديدة في الشرق الأوسط وفق الشروط الجديدة التي ذكرناها والتي تراعي المصالح الأمريكية ومصالح دول الشرق الأوسط في ظل الضغوطات التي تتعرض لها تلك الإدارة من داخل حزبه، والتي تريد الاستمرار في

12. رافد جبوري، زيارة بايدن إلى الشرق الأوسط: ما الذي يحمله الرئيس الأمريكي للمنطقة؟، BBC،

13 يوليو/ تموز 2022، متاح: <https://www.bbc.com>.

13. Aaron David Miller, Biden's Brief Middle East Pivot Won't Last: The U.S. president's trip was an immediate and time-limited response to Russia's invasion of Ukraine, domestic economic woes, and Iran, The Foreign Policy, JULY 19, 2022, At: <https://foreignpolicy.com>.

السياسة التي اتبعها الرئيس أوباما، مع عدم جدواها؟ وهل ستكون زيارته للمنطقة بمنزلة تدشين عهد جديد من العلاقة مع دول المنطقة ووفق ما تردّد من أنباء عن إنشاء حلف إستراتيجي يضم دول المنطقة وإسرائيل وتقوده الولايات المتحدة لمواجهة التحديات المشتركة في ردة طموحات كلٍ من الصين وروسيا وإيران؟

الخاتمة والاستنتاجات:

مع أنّ زيارة بايدن الأخيرة لمنطقة الشرق الأوسط جاءت لتؤكد التزام الولايات المتحدة بأمن حلفائها في المنطقة وسلامتهم، إلا أنّها لم تنزل، ولم تمخّ مرحلة الفتور والشكوك في العلاقة ما بين الطرفين التي سادت في الفترة السابقة.

لكن من الناحية العملية يمكن القول، ثمّة خطوط عامة ومتوازية في السياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، فالموقع الجيوسياسي للمنطقة يجعلها ركناً أساسياً في المنظر الأمريكي لإعادة الانتشار العسكري في العالم، في مواجهة روسي والصين، وكحلقة وصل ما بين أساطيلها المنتشرة في العالم ما بين المحيطين الهادي والهندي، مع توظيف دور هذا الانتشار منطقياً لقطع الطريق على محاولة القوى الدولية استغلال الغياب الأمريكي عن الشرق الأوسط ومحاولة ملء الفراغ فيه.

ولكن، ووفقاً للقراءة الأولية لزيارة جو بايدن لدول المنطقة، يمكن القول إنّ تلك المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ليست على مستوى واحد، إذ لا يمكن مقارنة مشهد استعراض بايدن لمنظومات الدفاع في مطار «بن غوريون» بإسرائيل والتي ستموّل بالكامل من أمريكا، واستكمال مشروع تطويرها سواءً تكنولوجياً فيما يتعلق بمنظومات الليزر أم دعم النظام الدفاعي متعدد الطبقات، وبين مشهد قمة الأمن والتنمية الذي عُقد في جدة، وبحضور الدول الخليجية ومصر والأردن والعراق، والتي يمكن عدّها قمة «دبلوماسية» في المقام الأول أكثر من عدّها قمة «أمنية»⁽¹⁴⁾.

وحتى من حيث الرهان الأمريكي على مستوى خفض تصعيد مستوى الصراعات في اليمن وسوريا وعدمه، ودعم العملية السياسية في كلٍ من العراق وليبيا والسودان ولبنان، فإنّه في واقع الأمر لا توجد ضمانات حقيقية للإبقاء على التهدئة في كثير من تلك الساحات التي تشهد صراعات، كالحالة اليمنية على سبيل المثال التي تُعدّ الحالة الرئيسة في هذا السياق، فقد هدّد الحوثيون في

14. محمد إبراهيم وآخرون، مصدر سابق، ص 53.

اليمن على التوازي مع القمة بعدم الاستمرار في الهدنة، وهو ما يتماشى مع الموقف الإيراني الرسمي. ومن جهة ثانية، هناك لغة مختلفة بين إيران والدول العربية، إذ تُشير السعودية إلى «الجارّة» إيران، والأخيرة تتحدث عن «الأجواء» الإيجابية في الحوار مع السعودية، والانفتاح على «الأشقاء» وإذا ما ربطنا ذلك السياق بما أعلن عنه وزير الدفاع الإسرائيلي من وجوب وضع خطة للاستعداد لحرب في المنطقة، وأنّ ثمة تخطيط مشترك مع الجانب الأمريكي، كل ذلك يشير في النهاية إلى وجود رهانات مختلفة بين الأطراف في المنطقة جميعها.

خلاصة القول: مثلت زيارة بايدن للمنطقة عن طريق قمة جدة، خطوة مهمة في اتجاه إعادة صياغة العلاقة بين إقليم الشرق الأوسط والولايات المتحدة، بوصفها القوة المهيمنة حتى الآن على الأقل على النظام الدولي، وتأسيس جديد للعلاقة، كما خلقت حالة من تعددية الأطراف في الإقليم. لكن لا يمكن بأي حال من الأحوال عدّ تلك الزيارة شرطاً كافياً للوصول إلى كل الأهداف التي كانت من وراء الزيارة، فالموضوع يتطلّب مزيداً من تظافر الجهود، سواءً على مستوى العلاقات العربية_العربية أم العربية_الأمريكية.

المراجع:

العربية:

- 1- رافد جبوري، زيارة بايدن إلى الشرق الأوسط: ما الذي يحمله الرئيس الأمريكي للمنطقة؟ BBC.
- 2- سعيد عكاشة، زيارة بايدن: هل تكون محاولة مختلفة لتأسيس الشرق الأوسط الكبير؟ ملفات، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، تموز، 2022.
- 3_ محمد إبراهيم وآخرون، كيف يفكر الشرق الأوسط في جولة بايدن؟ تقديرات إستراتيجية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، تموز، 2022.
- 4- معتز سلامة، الرؤية الخليجية: الأبعاد غير المطروقة في زيارة بايدن للسعودية، ملفات، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2022.
- 5- محمد البناء، الواقع يفرض على أمريكا اللجوء للتعاون مع الشركاء لتلاقي المصالح، مجلة آراء حول الخليج، العدد(176)، تموز 2022، متاح: <https://araa.sa>
- 6- يوسف الديني، ما بعد زيارة بايدن: شرق أوسط متجدد، الشرق الأوسط اللندنية، 26 يوليو 2022، متاح: <https://aawsat.com>.

الأجنبية:

- 1- Aaron David Miller, Biden's Brief Middle East Pivot Won't Last: The U.S. president's trip was an immediate and time-limited response to Russia's invasion of Ukraine, domestic economic woes, and Iran, The Foreign Policy, JULY 19, 2022, At: <https://foreignpolicy.com>.
- 2- Gerald M. Feierstein, Bilal Y. Saab, Karen E. Young, US-Gulf Relations at the Crossroads: Time for a Recalibration, The Middle East Institute, April 5, 2022, At: <https://www.mei.edu>.
- 3- Leonardo Jacopo Maria Mazzucco , Kristian Alexander, Growing Pains: The Promise and Reality of Biden's Middle East Policy, The Washington Institute for Near East, Jan 24, 2022, At: <https://www.washingtoninstitute.org>.
- 4- Rafiah Al TaleI, The Dilemma of U.S. Democracy and Human Rights Promotion in the Middle East, Carnegie Endowment for International Peace, May 27, 2021, At: <https://carnegieendowment.org>.
- 5- Tyler Pager and Yasmeen Abutaleb, Biden heads to Saudi Arabia amid discomfort and criticism: Biden promised during his campaign to make the kingdom a 'pariah.' He has now agreed to visit, but the sensitivities are evident and the results uncertain, The washingtonpost, July 12, 2022, At: www.washingtonpost.com.